الارتقاء بالمجتمع المدني في الأرخبيل من الناحية الأخلاقية والسلوكية استناداً للقرآن والسنة

عبد الوهاب بن عبد العزيز الحداد
أستاذ اللغة العربية في جامعة برليس الإسلامية–كلية القرآن والسنة

ملخص

هذا البحث سوف يسعى إلى تحقيق هذه النظرة من خلال المحاور الأتية:

- ✓ المحور الأول: مفهوم القِيم الأخلاقية ومصادرها وانواعها.
- ✓ المحور الثاني: مفهوم المجتمع المدني ومميزاته.
- ✓ المحور الثالث: منهج الإسلام في الارتقاء بالمجتمع المدني.
- ✓ المحور الرابع: القيم الأخلاقية والسلوكية في الاسلام، وأثرها في الارتقاء بالمجتمع المدني داخل الأرخبيل.
- ✓ المحور الخامس: العلاقة بين المجتمع المدني والقيم الأخلاقية في القرآن والسنة.
- ✓ المحور السادس: نماذج عملية من القيم الإسلامية في القرآن والسنة المطلوب تطبيقها داخل الأرخبيل.

❖ المقدمة:

بالرغم من أنّ اهتمام علماء المسلمين بإبراز منظومة القيم الإسلامية ودورها في الارتقاء بالمجتمعات، لكنها لا تزال ضعيفةً بالرغم من الجهود التي لا تخلو من إشاراتٍ ونظراتٍ في مقاصد القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة لموضوع القيم، ومن أجل ذلك جاء هذا البحث ليسهم بجزء يسير في هذا الجانب.

❖ أهمية البحث:

تأتي أهمية هذا الموضوع من كونه سيلقى الضوء على مفهوم المجتمع المدني والدور الذي يقوم به في الارتقاء بالمجتمع، مع الإشارة إلى المنهج الإسلامي النابع من القرآن والسنة في الارتقاء بالمجتمع والقيم الأخلاقية والسلوكية الضابطة لهذا المجتمع وأثرها في عملية الارتقاء، كما سيتطرق هذا البحث إلى تقديم نماذج عملية للقيم الإسلامية.

❖ أهداف البحث:

يسعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1. التعرف على مفهوم ومميزات المجتمع المدني.
2. الوقوف على المنهج الإسلامي في عملية الارتقاء بالمجتمع المدني.
3. التعرض لأثر الارتقاء بالمجتمع المدني داخل الأرخبيل.
4. الوقوف على بعض النماذج من القيم والسلوكيات الإسلامية المطلوب تطبيقها داخل الأرخبيل.

❖ منهج البحث:

إن طبيعة موضوع الدراسة تدعو إلى توظيف المنهج **الوصفي**، والمنهج **التحليلي** في عملية قراءة وتوصيف وتحليل الموضوع محل الدراسة.

❖ محاور البحث:

المحور الأول مفهوم القيم الأخلاقية

1. مفهوم القِيم الأخلاقية لغةً واصطلاحاً:
   - أ- مفهوم القيم في اللغة.
   - ب- مفهوم القِيم في الاصطلاح.
   - ج- مفهوم الأخلاق في اللغة.
   - **د-** مفهوم الأخلاق في الاصطلاح ومصادر القيم الأخلاقية والسلوكية وأنواعها:

   تنحصر مصادر القيم الأخلاقية في مصدرين اثنين:
   1. مصدر علوي سماوي.
   2. مصدر أرضي بشري.
1. صنف **محمد تقي المدرسي** الفضائل والقيم الإسلامية إلى خمسة أصناف
   - **الأخلاق الفردية:** وتشمل القيم التالية: الاستقامة، العفة، كظم الغيظ، الصدق، الأمانة، التواضع، البخل، الإسراف.

- **الأخلاق الأسرية:** وتتمثل في تلك القيم التي تربط الآباء بالأبناء، والأزواج، والأقارب، والأرحام.
- **الأخلاق الاجتماعية:** وتشمل القيم التالية: تحريم الغش والظلم، وجوب الوفاء بالعهد، العفو والإحسان والكرم، تحريم الاعتداء على الأنفس.
- **الأخلاق الدينية:** وتشمل الفضائل التالية: طاعة الله وشكره، التوكل على الله، الخوف من سطوة الله، الأمل في رحمة الله، التوبة من الذنب.
- **أخلاق الدولة:** وتشمل القيم والفضائل التي تربط الحاكم بالمحكوم، مثل: العدالة، الحرية، المساواة، إقرار النظام، صون الأموال، التشاور، الدفاع، مساعدة المستضعفين، وحدة الكلمة، الرقابة والوفاء بالعهد.

المحور الثاني: مفهوم المجتمع المدني ومميزاته.

أ- نشأة المفهوم وتطوره.

ب- مفهوم المجتمع المدني.

ج- مزايا المجتمع المدني.

1. ترسيخ الثقافة الديمقراطية والتربية على المواطنة.
2. توسيع قاعدة المهتمين بالمصلحة العامة.
3. امتصاص حالات الاحتقان السياسي والاجتماعي>
4. تلبية الاحتياجات المتعددة والمتنوعة للأفراد>
5. تكوين النخب وإفراز القيادات الجديدة.
6. دور الرقابة والنقد لحكومة.

المحور الثالث: منهج الإسلام في الارتقاء بالمجتمع المدني.

الركيزة الأولى: إقامة الشريعة الإسلامية بحذافيرها، وتطبيقها كمنهج حياة للأمَّة.

الركيزة الثانية: تعظيم المسؤولية الخاصة والعامة وعدم التفريط فيها.

الركيزة الثالثة: التكافل والتعاون بين أفراده.

الركيزة الرابعة: حفظ الحقوق والحريات في إطار الشريعة الربانية.

المحور الرابع: أسس القيم الأخلاقية والسلوكية في الاسلام، وأثرها في الارتقاء بالمجتمع المدني داخل الأرخبيل.

(أ) أسس القيم الأخلاقية والسلوكية في الإسلام:

1. **الفطرة السليمة**: (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون).
2. **فساد الفطر** أمر محتمل وورد r:(كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه).
3. **حرص الشريعة** الشديد على بناء الشخصية الإسلامية على أساس من القيم الأخلاقية الرفيعة.
4. **الرسول r يمثل هذا الدين القويم وهو الأسوة** والقائد لتعاليمه السمحة وقيمه الرفيعة وأخلاقه الفاضلة.
5. **المجتمع الإسلامي له أخلاقه وقيمه** التي تضبط وتحدد السلوك والتي تنبع من المصدرين الأساسيين: القرآن والسنة المطهرة.
6. تمثل **القيم الأخلاقية والسلوكية بؤرة اهتمام** السابقين واللاحقين.
7. **التصور الأساسي** الذي اعتنى به علماء المسلمون يختلف في جوهره عن الفلسفات والمدارس الوضعية.
8. **القرآن الكريم معني بإصلاح البشرية**" :إِنَّ هذا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا "
9. **الإسلام دين القيم العليا**، والمُثُل السامية ورسالته رسالة القيم الإنسانية التي تتسم بالربانية والشمولية، والثبات، والتوازن والعالمية.
10. **أحكام الشرع الحنيف ماهي الا معايير قيمية سامية** توضح للإنسان سبل السلوك الإنساني السوي.
11. **جمع القرآن الكريم والسنة المطهرة بين الاعتقاد القلبي وبين السلوك القيَمي.**

(ب) تأثير القيم الأخلاقية والسلوكية في الارتقاء بالمجتمع المدني داخل الأرخبيل:

أولاً: أثرها على الفرد:

1. توجه السلوك الصادر عنه ليتوافق مع المنهج الشرعي.
2. تقوية شخصية الفرد وثقته بنفسه مما يجعله أكثر انطلاقاً في أداء دوره في المجتمع الأرخبيلي.
3. تقوّم ما يطرأ على الفرد من انحراف، وتحفز ما تتعرض له همته من ضعف.
4. تعين الفرد على تحديد أهدافه الخاصة وفق معايير صحيحة.
5. تمنحه القدرة على التكيف الإيجابي وفق تلك القيم وتمكنه من العطاء والإنتاج ليكون عضواً فعالاً داخل الأرخبيل.
6. تكشف للفرد نقاط ضعفه ومواطن قوته، وتدفعه لتطويرها في إطار التنافس الشريف مع أقرانه.

ثانياً: أثر القيم على المجتمع :

1. تجعل مجتمع الأرخبيل ذا مبادئ ثابتة وأكثر تماسكاً وثباتا فلا يسهل على أحد تفكيكه اجتماعياً.
2. تمكنه من مواجهة التحديات والمتغيرات التي تطرأ على المجتمع من خلال اتصاله بالمجنمعات الأخرى.
3. تشكل انسجاماً وتكاملاً بين طاقات أفراده، فيجعله أكثر إنتاجا وتطوراً.
4. تقلص مظاهر السلوك غير السوي في الأرخبيل من إسراف وإهمال واعتداء على ممتلكات الآخرين وأنانية وطمع ولا مبالاة.
5. ترفع مستوى التعامل بين أفراده بعضهم مع بعض من جهة وبين أفراده والأرخبيلات الأخرى من جهة ثانية.

ثالثًا: آثاره المادية والاقتصادية:

(أ) على مستوى الفرد:

1. تؤثر القيم الأخلاقية على مستوى الأفراد المعيشي في المجتمع والقدرة على اكتساب العلاقات على مستوى العمل.

2. تربي القيم الأخلاقية والسلوكية في نفوس الأفراد قيم الصدق والفضيلة والإخلاص والإتقان في العمل.

(ب) على مستوى المجتمع: وتتمثل بما يلي:

1. امتلاك القيم الأخلاقية والسلوكية تزيد من درجة الثقة بين أفراد العمل الواحد، وهو الذي سيدفع باقتصاد الأرخبيل نحو القمة.
2. القيم الأخلاقية هي أساس الاقتصاد الناجح.

(ج) آثاره النفسية والمعنوية:

❖ **على مستوى المجتمع**: وتتمثل بما يلي:

1. تُعتبر القيم الأخلاقية منهجًا مسؤولًا عن إقامة مجتمع يمتلك الصفات المثالية.
2. تساعد القيم الأخلاقية والسلوكية على بناء مجتمعٍ راقٍ وقادرٍ على مواجهة التحديات ومواكبة التغيرات.
3. تساعد القيم الأخلاقية على بناء مجتمعٍ مترابطٍ قائمٍ على المحبة .
4. تعد القيم الأخلاقية أهم ما يميز المجتمعات، فهي أساس الخير والعمل الصالح، وهي التي تحافظ على المجتمع متماسكًا.

❖ **على مستوى الفرد**: وتتمثل بما يلي:

1. القيم الأخلاقية من أهم مقومات شخصية الفرد.
2. الفطرة الإنسانية السوية قائمة بشكل أساسي على مفاهيم حسن الخلق.
3. القيم الأخلاقية والسلوكية إحدى أهم الركائز التي تقوم عليها القوانين والأحكام التي تنظم أمور الحياة وأساليب العيش.
4. تعمل القيم الأخلاقية على تربية الفضائل بين الأفراد، فتصبح أجيالًا واعية ومدركة قادرة على العطاء والبذل في سبيل نهضة الأرخبيل وبنائه.

المحور الرابع: العلاقة بين المجتمع المدني والقيم الأخلاقية في القرآن والسنة.

1. يسعى الإسلام على بناء الإنسان من خلال التربية والتزكية ليقوم بمهمة الاستخلاف في الأرض.
2. الفرد الصالح هو أساس الأسرة الصالحة، والمجتمع الصالح، والأمة الصالحة.
3. يعاني الوعي في الوقت الراهن من إشكالية العلاقة ما بين القيم الأخلاقية والمجتمع المدني.

4. القيم الأخلاقية تختلف من شخص إلى آخر ومن ثقافة إلى أخرى ومن مجتمع لأخر.
5. قدرة النظام الأخلاقي والقيمي على إنتاج الضوابط الأخلاقية ناتجة عن قدرة الفكر الإسلامي على ترجمة الرسالة الإسلامية.
6. الإسلام زود النفس الإنسانية بالبصيرة الأخلاقية والمثل العليا.
7. القِيم الأخلاقية وإخلاصه للأهداف العامة أصبح من الأمور الضرورية التي يجب توافرها في المجتمع.
8. يجب أن يتقيد المجتمع المدني بالقيم الأخلاقية النبيلة عن قناعة ورضا، وليس عن قسر وخوف.
9. ينبغي على المهتمين بإصلاح المجتمع أن يضعوا مجموعةً من الآليات التي تربط المجتمع المدني بالقيم الأخلاقية وفق منهج القرآن والسنة، وذلك من خلال وسائل متعددة وفاعلة.

المحور الخامس: نماذج عملية من القيم الإسلامية في القرآن والسنة المطلوب تطبيقها داخل الأرخبيل.

1. من الآيات الآمرة بقيمة القسط:

{قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ}

2. من الآيات التي دعت إلى قيمة البذل والعطاء:

(آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ).

3. قيمة الإحصان والعفاف:

(وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا) .

4. قيمتي العفو وكظم الغيظ:

(وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) .

5. قيمة الوفاء بالعهود:

(وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ).

6. قيمة الشورى:

(وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ)

❖ **الخلاصة:**

1. المتدبر للتراث الإسلامي الضخم المتمثل بالكتاب الكريم والسنة المطهرة، يجد أنه مليء بالشواهد والآيات التي تتحدث عن القيم الأخلاقية والسلوكية، وعلاقتها بالمجتمع المدني، ويدرك أن رسالة القرآن الكريم الأساسية هي هداية وإصلاح الفرد كي يكون صالحاً مهيأ للاندماج في الجماعة.
2. جعل القرآن مبدأ إصلاح منظومة القيم الأخلاقية محور دعوته، وقد تضافرت آياته على الأمر بالتخلق بالأخلاق الحسنة، ونصت على الكثير منها في مواضع شتى في كتاب الله، لجعل المجتمع المدني وحدةً متماسكةً، وكتلةً مرتبطةً فيما بينها، تجمعها رابطة العقيدة.
3. هم إصلاح منظومة القيم الأخلاقية حاضراً عند مفسري القرآن الكريم أثناء وقوفهم على الآيات ذات الصلة بالبعد القيمي والأخلاقي، وعلاقتها بالمجتمع المدني، مما دفعهم إلى التنبيه إلى مضامينها، والبحث في إشاراتها ودلالاتها العامة حتى تنسجم مع الكتاب الكريم والسنة النبوية، إذ لا تكاد تخلو صفحة من تفاسيرهم من ترديد لمصطلحات ذات مدلولات قيمية.
4. إنّ القيم الأخلاقية التي تحاول النظريات الأخلاقية الحديثة اليوم، أن تخص بها نفسها، ما هي إلا مبادئ وأخلاق المنهج القرآني، وآثار قيمه الفردية والجماعية، وقف عليها علماء التفسير بالدراسة والتحليل، فاستنبطوا لنا منها منظومةً قيميةً هائلةً، أبرزتْ نماذجَ من القيم الاجتماعية الإيجابية التي أمر الله سبحانه بها، والتي تتمثل في قيم: العدل، الشورى، الإخاء، الأمانة، العفو، الصدق.

❖ **النتائج:**

1. أنه لا يمكن الارتقاء بأي مجتمع مدني مسلم إلاّ من خلال مجموعة من القيم الإسلامية والسلوكية التي يجب أن تطبق داخل المجتمع.
2. أنّ اهتمام القرآن الكريم والسنة النبوية بالقيم الأخلاقية يؤكد أنّ إصلاح المجتمع هدف إسلامي كبير.
3. أنّ المطلع على التراث الإسلامي الضخم يجده حافلاً بثروة مهمة من المصطلحات والمفاهيم تحتاج إلى دراسة تأصيلية.
4. أنّ هناك آليات تربط المجتمع المدني بالقيم الأخلاقية وفق منهج القرآن والسنة.